الإستشراف في ديوان

" لماذا تركت الحصان وحيداً "

لمحمود درويش

The Expectation in

(Why did you leave the horse alone)

By Mahmoud Darwish

د . سهير صالح أبو جلود

Assit.Prof .Dr. Suhair Salih Abu Joloud

Abstract

Expectation in poetry is the ability of the poet to exceed the existence of the universe . It is the revealing of the hidden and the familiar. This feature of expecting is not related to the modern poetry only . It is a well - known feature that has long been assigned to old poetry like Al-Mutannabi an Al-Mu`arri who had their own unique ways of expecting and going beyond the current time and touching the future and making it a reality. Based on their awareness ,mature thinking and talent , they had the ability of reading what is to come ,even if they were mere suppositions and tentative readings. As for the modern poetry , we have poets like Amal Dunqil , Adonis ,and Al-Sayyab whose poems became expectations to the future.In addition to Mahmoud Darwish whose poems are the example of expectation in poetry , especially in his book (Why did you leave the horse alone) which is more a reading for the future than a book of poems . His book is rich with culture , intuition , rich visions of the future . The eloquence and the images in this book turn to be a reading tool that harness all the possibilities to a better reading for the future ; a better expectation.

مدخل

تكمن أهمية الإستشراف في تجدّد تعريفاته وتنوعها ، فهو قبل كل شيئ رغبة في الخلق والخرق ، هو قراءة جديدة للعالم توحي بالإختلاف والائتلاف . والاستشراف تمرّد وانعطاف ، تمرّد على كل شيئ لأكتشافه من جديد ، وهو يحتاج الى من يحرّك استقرار الأشياء لينعطف بها في حركة أخرى .

وأن يحمل الشعر بعداً استشرافياً يقودنا الى القول أنّ ذلك قد يعود الى المراحل الأولية التي مرّ بها العقل العربي والتي كشفت عن عجزه عن التفكير ، مما جعله يرجع الكثير من الحالات الى علل وتفسيرات غيبية مخبوءة في الما وراء ، فلجأ الى التنبؤ القائم على الظن ، ومن خلال المعطيات التي أمامه تمكّن من ذلك التنبؤ (وهو ظن وليس يقيناً) . وذاكرة الشعرالعربي مليئة بأسماء شعراء كان لهم فضل التنبؤ والقدرة (البصيرة) ، وهو كما يعرفها العكيمي : ((الرؤيا في اللغة الشعرية ... تجربة نافذة باتجاه المستقبل من خلال قراءة معطيات الواقع بأدوات ترتكز على الوعي والنضج واستلهام التجارب الأخرى)) [(1)]، ومن هؤلاء الشعراء : المتنبي والمعري وأبو تمام ، إلاّ إنّ استشرافهم يمكن أن نطلق عليه اجتهادات لاتكشف عن رؤى ذات خطوط واضحة تجاه المستقبل ، ولاتمثل كشفاً جديداً ، بل إنّ أغلبها كانت محكومة برؤية ذاتية لاتخرج الى أفق بعيد . وبقي هذا قائماً لحين مجيئ شعراء محدثين مثل : أمل دنفل ، والسياب وأدونيس وغيرهم . هؤلاء تحوّلت الكثير من قصائدهم الى اكتشاف جديد في ثنايا المستقبل ، فكانت قصائدهم الرؤيوية تسابق الزمن وتختصر الأوان ، ومن ثم تنفذ الى المستقبل ، المستقبل الذي يحلم به كل إنسان مهموم بوطنه ، فيحيلها للشاعر الذي يتعاطي مفردات هذا الهم وهذه الغربة ليكون صوتاً مختلفاً بانطلاقه من مفاهيم جديدة باتجاه التجربة والرؤيا . فالشاعر يبقى محاطاً بالاحباطات والقلق من المستقبل ، فيصبح شعره اكتشافاً ومغامرة في المجهول ، ليبقى بذلك صاحب الخطاب الأقوى في الثقافة الرؤيوية ما دامه يستشرف الحدث (السياسي ، المستقبلي ، الزمني ..) ويكشف سوداوية الواقع أو يحذر في الأقل من الكارثة .

إنّ الإستشراف بمثابة إنجاز شعري يتجاوز الشاعر من خلاله ذاته . كما يتجاوز به انجازات الشعرالكوني ، فهو إضافة له بوصفه اختراقاً لما يراه الشاعر أمامه ، وكشفاً للمتواري ، في الوقت نفسه الذي يبدي موقفاً تأويلياً يعلن فيه عن دور الشعرالخلاق في إعادة صياغة الوجود ،

لتكون القصيدة بذلك : ((حدثٌ أو مجيئ)) والشعر تأسيس باللغة والرؤيا ، تأسيس عالم واتجاه لاعهد لنا بهما من قبل ، لهذا كان الشعر تخطياً يدفع الى التخطي))[2]

بل إنّ الرؤيا بطبيعتها هي تغيير في نظام الأشياء وفي نظام النظراليها . ومحمود درويش - في نتاجاته الأخيرة بشكل خاص - من الشعراء الذين استشرفوا المستقبل وقرؤوا الواقع جيداً بكل معطياته وإرهاصاته ، فتشكّلت لديه رؤى كثيرة باتجاه الوجود والعالم المشوبين بالغموض والتعقيد ، وديوان (لماذا تركت الحصان وحيداً) من الدواوين التي حققت مفهوم الرؤيا التي تقفز الى المجهول وتستشرقف ما وراء الواقع ، وهذا لايعني هروباً من هذا الواقع ، فالاستشراف بهذا المعنى يخبئ حنيناً الى مزيد من الانغراس واستشراف الواقع الآخر هو بمثابة استعانة بالخيال والحلم والرؤيا لمعانقة ذلك الآخر .

لقد عمل هذا الديوان الى تطعيم عالمه برؤى شعرية ذات طموح كوني [3] ، فكان شاعره يحمل الثقافة والحدس الانساني الكبير ، وحسبنا في ذلك لغته التي نستكشف في حضورها تلك الرؤيا الغزيرة في شعره ، وهذا مانحاول توضيحه في بحث اعتمد منهجاً استقرائياً يضع (استشراف المستقبل ورؤية الحدث) مادة أساسية نستنتجها من خلال قراءتنا لنصوص هذا الديوان ، وذلك من خلال محورين قام عليهما البحث ، وهما :-

1- الاستشراف حلماً

2- الاستشراف مسقبلاً

1- الاستشراف حلماً :

إنّ من مهمات الشعرالجديد الكشف عن قلق الانسان والتعبير عنه ، واستقطاب مشكلات كيانية والحلم بحلها . ومحاولة الكشف عن وجه العالم المخبوء هي محاولة لاكتشاف علائقه الخفية .

والشعرفي الحالة هذه لايختلف كثيراً عن النبوءة ، فالشاعر صاحب الموهبة شخص يعلم الإنسانية ، يقتحم الأحاسيس ، يهشّم الوجود ليعيد بناءه من جديد ، إنّه يلغي الإنسان ليصوغه من جديد [4] ، ولعلّ احتضان الشعراء لأحلام الانسان هو سعي وراء هاجس الخلاص ، والنبوءة

والاستشراف ليسا ببعيدين عن أن يكونا بمثابة عامل مساعد لهذا السعي ومشروع حلّ لبعض هموم الانسانية ، وهذا مايحلم به درويش حين يقول :

أنا حُلمُي ، كلّما ضاقت الأرض وسَّعْتُها

بجناح سنوُ نوةٍ ، واتسعتُ ، أنا حلميُ .

في الزحام امتلأت بمرآة نفسي وأسئلتي

عن كواكب تمشي على قدمي من أحبُّ (5)

بهذا الحلم يحاول الشعر أن يقودنا نحو عالم جديد ، صوب إنسانية جديدة تتسع بآفاق جديدة وكواكب تدعونا لاكتشافها ، لنوسّع من خلالها أرضنا ، وأحلامنا ، هذا هو شعر الكشف والرؤيا ، شعر يبدأ بحلم وقد ينتهي بحقيقة تنعكس في مرآة انفسنا طارحة اسئلة عن ذلك الحلم الذي يتسع كلما عجزنا عن الإجابة عنها .

ويؤسّس الطرح الشعري الجديد للفعل الاستشرافي طريقاً تفرضه حاجات العصر ، فيرتكز على أسس الإبداع من كشف ودهشة ، وصدمة تجعل من الشعر وسيلة اختراق ينطلق بانسانية نحو الأصفى ، ويكشف بالرؤيا عن عالم مثالي يجهد الانسان الى بلوغه (6) ، هذا الكشف يجعلنا نطلّ على عالم آخر ، عالم نراه ملجأ آمناً وملاذاً نحتمي به من واقعنا ، عالم نظنه مثالياً ونحلم باللجوء اليه :

أطلُّ على نورسٍ وعلى شاحنات جنود

تغيّرُ أشجار هذا المكان

أطلّ على شجرَ يحرسُ الليل من نفسهِ

ويحرس نوم الذين يحبونني ميّتاً

أطلّ على الريح تبحثُ عن وطنِ الريحِ

في نفسها

أطلّ على موكب الأنبياء القدامى

وهم يصعدون حفاةً الى أروشليم

وأسأل : هل من نبيّ جديدٍ

لهذا الزمان الجديدْ ؟ (7)

يحمل النص هنا البحث عن المنقذ المجهول الذي يحمل المفاجأة ، ويحمل النص محاولة دحرالموت والجمود ، والبحث عن الحياة بأشكالها المتعددة ، حيث يهمّش الشاعر في كلماته الزمان والمكان ، ويحولهما الى زمان مطلق ومكان مشاع في محاولة منه لاستشراف عالم له هاتين الصفتين ،فدرويش عاش واقعا متوترا دخل العصر و الزمن فيه الى هذا الواقع خصماً أو طرفاً في النزاع – الأمرالذي دفع الى ممارسته الاستشراف أو محاولة الاستهداء الى ما سيحدث ، فكان ما ينتظره قاتماً كالماضي :

أطلُّ على ماوراء الطبيعة

ماذا سيحدث ، ماذا سيحدث بعد الرماد ؟

أطلُّ على جسدي خائفاً من بعيد

أطلّ كشرفة بيتٍ على ما أريد

أطلّ على لغتي بعد يومين ، يكفي غيابٌ

قليلٌ ليفتح اسخيليوس البابَ للسلمِ

يكفي

خطابٌ قصيرٌ ليشعل انطونيو الحربَ

تكفي يدُ امرأةٍ في يدي

كي أعانق حريتي

وأن يبدأ المدُّ والجزرُ في جسدي من جديد

أطلُّ كشرفة بيتٍ على ما أريد

أطلّ على شبحي

قادماً من بعيد (8)

إنّ مايحدس به الشعراء لايغدو بكامله حلماً قيد التطبيق ، فاذا صدق جزء يسير من حدسهم فإننا نتناسى الجزء الأكبر الذي لم يتحقق ، لاسيما إذا بقي المستقبل غامضاً أو متشائماً لايستطيع الانسان أن يرى نفسه فيه إلاّ (شبحاً) لايكاد يعرف ذاته ، وهنا نذكر أن (الأنا) المكثفة عند الشاعر التي تغلق الأبواب على نفسها أحياناً تتفاعل مع المجهول المحلوم به ، المجهول الذي يجسده الشاعر بسؤاله (ماذا سيحدث) إذا ما أطلّ على ماوراء الطبيعة ، هنا يكمن حلم ولادة الأمل الذي يصيب أحياناً ويخطئ أحياناً أخرى ، وبتمسكّنا بالجزء الذي أصاب نترك القسم الآخر للزمن علّه يفسح له فرصة أخرى ، الزمن الذي يبدو في النص القادم معبراً يمرّ من خلاله ساسةٌ أو فلاسفة وقادة ، يهلّلون للزمن القادم آملين في أنّ كلّ شيئ سيبدأ من جديد :

تحت القصيدة : تعبرُ الخيلُ الغريبةُ ، تعبرُ

العرباتُ فوق كواهل الأسرى

ويعبرُ تحتها

النسيان والهكسوس

يعبرسادة الوقت

الفلاسفةُ ، امرؤ القيس الحزين على غدٍ ملقىً على أبواب قيصر

يعبرون جميعهم تحت القصيدة

يعبرُ الماضي المعاصرُ مثل تيمورلنك

يعبر تحتها ، والأنبياء هناك ايضاً يعبرون

وينصتون لصوت اسماعيل ينشدُ : ياغريبُ

أنا الغريب ، وأنت مثلي ياغريب الدار

عُدْ، ياعُودُ بالمفقود ، واذ بحني عليكَ

من الوريد الى الوريد

هلّلويا ، هلّلويا

كلّ شيئٍ سوف يبدأ من جديد (9)

ويبدو أن المتعة في انتظار الشيء الجديد ، تظهر من خلال اختصارالمسافة والسيطرة على الزمن الآتي من خلال محاولة معرفة خفاياه ، أو الحلم بذلك ، وهنا تتحقق لذّة الانتقال من عبودية الخضوع لما نرى ونعيش ، الى انتظار الجيل الآتي وزمنه ومواكبته ومؤانسته بعد التنبؤبه ، ويظهر جيل انتظار المستقبل في هذا الحوار بين الأب وحلمه بالمستقبل ، وابنه المعوّل عليه لتحقيقه :

الى أين تأخذني يا أبي ؟

الى جهة الريح ياولدي

لاتخف من أزيز الرصاص ! التصق

بالتراب لتنجو

سننجو ، ونعلو على

حبل في الشمال

ونرجع حيث

يعود الجنود الى أهلهم في البعيد

ومن يسكنُ البيتَ من بعدنا يا أبي ؟

سيبقى على حاله مثلما كان ياولدي [10]

هو حلم المستقبل الأزلي ، هو حلم العودة الأزلي ، حلم العودة وظنّ الأمان في هذه العودة ، أو ثمة شمس وظلّ ودفء ، وطمأنينة لعلها تنتظرنا في عودتنا :

ثمةَ ظلٌّ

لنا في الممرِّ ، وشمسٌ لنا في سلال

الفواكه

...

للصدى ، للصدى سلّمٌ معدنيٌّ شفافيةٌ وندى

يعجّ بمن يصعدون الى فجر هم [11]

صحيح أنّ تحقّق الرؤيا يسهم في حيوية الشعر ، فالشعر في حالة الرؤيا وعوالمها تصبح لغته لغة إشارات ، وليست لغة إيضاح ولغة تساؤل مثقل بالتغيير ، وليست حتى لغة أجوبة ، بل هي كشف ومعرفة يسعيان الى اكتشاف لغة أخرى مخبوءة في هذا العالم المجهول [12] هذا العالم الذي قد يقلب المقاييس والأوضاع ، فالأب الذي كان يقود ابنه ، ويحمله ، سيحمله الابن نفسه ، فيتمّان حواراً أو حلماً كانا قد بدآه سابقاً :

- يا ابني تعبتً ، أتحملني ؟
- مثلما كنت تحملني يا أبي ، وسأحمل

هذا الحنين الى أوّلي والى أوّله

وسأقطع هذا الطريق الى

آخري ، والى آخره ! [13]

إنّ تعاقب الحمل (بين الأب وابنه) هو تعاقب الزمن ، الزمن الذي يشهد أننا يجب أن نلتف حول بعضنا ، معتمدين على أنفسنا للوصول ، وفي ذلك حلم بالصمود والمقاومة المنبعثين من بين السطور، ومن ناحية أخرى هو تأكيد لسلوك الالتفاف حول الذات في أوقات الخطر ، وما يصحب

ذلك من تجاهل المحيط ، وكأنها حركة إثبات الذات (بمواصلة السير على طريق هذا الحمل) ، هي حركة باتت تترجح بين هاجس الموت ونزوة الحياة التي تتضح بتأكيد الابن بأنه سيقطع الطريق الى آخره . إنه نصّ يستشرف ما سيحدث بابتعاده عن واقع مرفوض (الوقوف ثابتا) ، والاتجاه الى مستقبل يحمل ملامح مواصلة المسيرة ، والشاعر في هذا النص يقفز بلغة رائية تزرع الأسئلة وتكشف عن المستقبل لتعيد بناءه من جديد .

إنها رؤى واحلام أثقلت نصوص الديوان ، ويمكن لذلك عدّها أرضاً عامرة بالدلالات المخبوءة ،وليس ذلك بالجديد على مايجب أن يكونه النص ، فالنص كما يقول عبد القاهر الجرجاني ((كالجوهر في الصدف ، لايبرز ذلك إلاّ أن تشقّه عنه ، وكالغزيرالمحتجب لايريك وجهه حتى يستأذن عليه ، ثم ماكلّ فكرة تهتدي الى وجه الكشف عما اشتمل عليه، ولا كلّ خاطر يؤذن له في الوصول اليه ، فما كلّ واحد يفلح في شقّ الصدفة)) [14] ، والشاعريميل الى الكشف ، فاذا قصرت قدراته استعان باخرى ، بأن يمدّ يده مثلاً الى الخرافة والأساطير والمعتقدات الشعبية والدينية ، علّها تعينه على كشف جديد ، وغالباً مايلجأ الشاعرالى ذلك حين يصاب بالإحباط ويعجز عن التصدي فيلجأ الى سيطرة تاريخية ودينية وخرافية يتوسل اليها الثأر والانتقام لخيبة أمل في أحلام مشروعة – وكثيراً ما نقرأ ذلك في دواوين درويش الأخيرة) فمن التاريخ مثلاً نقرأ هذا اللجوء الى التتار لوصف ماحدث وما سوف يحدث عن طريق حلم يسرده إلينا عن أحداث بعد (الظهيرة) ، بعد الحرب والقتل والمواجهة المميتة ، سنكون مع أعدائنا آمنين ، لاتشغلنا حروب ولايؤرقنا اقتتال ، وسيعود السلام شيئاً فشيئاً إلينا ، يلجأ درويش الى رمز الاقتتال والحروب والدمار المتمثل بـ (التتار) في هذا النص الذي يحتمي فيه الشاعر بحلم مستحيل ، أن الحرب لن تطال شيئاً وراء الخيام التي نصبها العدو ، حلم بالأمان الذي يخيّم على الأهل ، فلا خوف ولاقلق على الغد :

على قَدْر خيلي تكونُ السماءُ ، حلمتُ

بما سوف يحدثُ بعد الظهيرة ، كان التتارُ

يسيرون تحتي وتحت السماء ، ولايحلمون

بشيئ وراء الخيام التي نصبوها . ولايعرفون

مصائر ماعزنا في مهبِّ الشتاء القريب

على قدر خيلي يكون المساء ، وكان التتارُ

يدسّون أسماءهم في سقوف القرى كالسنونو

وكانوا ينامون بين سنابلنا آمنين

ولايحلمون بما سوف يحدث بعد الظهيرة ، حين

تعودُ السماءُ ، رويداً ، رويداً

الى أهلها في المساء [15] .

والى اللجوء الى الدين نقرأ :

لا ليلَ يكفينا لنحلم ، مرَّتين . هناكَ بابٌ

واحد لسمائنا ، من أين تأتينا النهاية ؟

نحن أحفاد البداية . لانرى

غيرالبداية ، فاتّحد بمهبِّ ليلكَ كاهناَ

يعظُ الفراغَ بما يخلّفهُ الفراغُ الآدميٌّ

من الصدى الأبديِّ حولكَ

أنتَ متّهمٌ بما فينا ، وهذا أولُ

الدم من سلالتنا أمامكَ ، فابتعد

عن دارقابيل الجديدة .

مثلما ابتعد السرابُ

عن حجبر ريشك ياغرابُ

....

ويضيئك القرآن :

((فبعث الله غراباً يبحث في الأرض

ليريه كيف يواري سوءة اخيه . قال : ياويلتي

أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب))

ويضيئك القرآن

فابحث عن قيامتنا ، وحلّق ياغرابُ ! (16)

يعود بنا هذا النص الى الغراب الذي يواري سوءة أخيه ، هو عود الى البداية ، عود الى إخفاء السوء والمضي قدماً ، لتبقى السلالة ترث ما حمله الأجداد لاشيئ ، يتغيرإلآالحلم ، والرغبة في الكشف عن عالم آخر ، الرغبة في إخراج معنى جديد من كلمات باتت مألوفة ، ففي الاستشراف لايكتب الشاعر كما يتكلم ، بل يتكلم كما يكتب ، بمعنى إنه يتجاوز لغة الكتابة الى مابعدها ، الى لغة جديدة ، وهذا بالتأكيد يعني إفراغ الكلمات من محتواها المألوف ، واستئصالها من سياقها المعروف . وبدل أن يكون الشاعر جزءاً من توقعاته واستشرافه يصبح التوقع والاستشراف جزءاً من الشاعر.

أمّا اللجوء الى الخرافة والأساطير فهو نوع آخر من الاستشراف ، هو تنبؤ بحالة العدم والّلا جدوى التي قد يتحول اليها الانسان عن طريق تغييب هذا الانسان في أمثلته ، واللجوء الى كائنات أخرى –كالعنقاء – التي تخرج إلينا من أبسط يومياتنا ، من موسيقانا التي في جوفها حرقةٍ آمالنا وضياعها بين ثورة لم تخلّف إلاّ غباراً وأحلام لم تترك إلاّ رماداً، ولعلّ لجوءه هذا هو الذي أوجبه التفكير في نبوءة جديدة واستكشاف جديد وحلم مختلف :

في الأناشيد التي ننشدها ، ناي

وفي الناي الذي يسكننا ، نارٌ

وفي النار التي نوقدها

عنقاء خضراء

وفي مرثية العنقاء لم أعرف

رمادي من غبارك

غيمةٌ من ليلك تكفي ، لتخفي

خيمة الصيَّاد عَّنا (17)

وترد العنقاء في نص آخر يجعلنا بمواجهتها ، وكأنها مرآة لما أصابنا وما سيصيبنا :

نصفُ عنقاءَ . ما مسَّها مَّسنا : شبهٌ

داكنٌ بين ضوءٍ ونار ، وبين طريقين

لا ، ليس طيشاً ولاحكمةً حبُّنا

هكذا دائماً ، هكذا ، هكذا

من سماء الى أختها ، يعبرالحالمون

....

وليكن

وليكن غدُنا حاضراً معنا

وليكن حاضراً أمسنا معنا (18)

يدفعنا درويش في هذا النص الى أن نثق بأنه بعيد عن تقديم مجرد أفكار ومعان للقارئ ، إنه يقدم لشعره حالة أو فضاء من الأخيلة والصور والانفعالات وتداعياتها ، وكل ذلك لاينطلق من موقف عقلي جاهز جاهز . بل من مناخ انفعالي أقرب الى الرؤيا ، فهو لايخبر بقدر مايوحي ويومئ ، ولايسرد الأحداث بقدر ما يستشرفها ، إنه يرى المستقبل حاضراً بماضيه وتراثه ، ومثلما نعيش اليوم حاضراً مفعماً بذكريات الأمس فأن الماضي يعود بذكرياته والتاريخ يكرّر نفسه ، ولابأس بذلك ، لابأس أن يعبرالحالمون التاريخ بحلمهم ، فلن يلزمنا للحلم - كما يرى درويش – إلاّ القليل لنرى مانريد أن نرى :-

كي أحلم ، لايلزمني ليلٌ كهذا

وقليلٌ من سماء لزياراتي سيكفي

لأرى الوقت خفيفاً

وأليفاً

وأنام [19]

هو شعر يكشف عن حلم كل إنسان ، حلم في الماضي يكفي لنأمل بالآتي ، ونكشف عن مرمى نظرنا ، وهذا الكشف لن يأتي سهلاً ، أو عفو الخاطر ، إذ لابدّ من التجذّر داخل النفس ، وهذا يعني أنّ لغة الكشف تصدر أحياناً من لاوعي الشاعر ، لأنها لغة الأعماق ، وهذا اللاوعي هو الذي يحدّد هوية لغة الشعر ، ولن يكون الشعر ذا أثر متميز مالم يتجاوز حدود الرؤيا الى استشرافات أبعد .

2- الاستشراف مستقبلاً

لانريد من هذا العنوان أن نستعرض قدرة الشاعر ونصوصه على اختراق الغيب ومعرفة مايضمره المستقبل للإنسان ، لكنّنا في صدد التعرف على قدرة الشاعر المبدع التي تتجلّى في وصف الحدث عن طريق تصوير خاص للظروف المحيطة ، فهو في تشخيصه للأوضاع وتحذيره من الأخطار يقدّم لنا تصوراً تنبؤياً عما سيسفر عنه المستقبل ، هنا يأتي دور محمود درويش وغيره ممن استشرفوا الحدث ، وقدّموه لنا علّنا نفهم سبب ما ستكون عليه الأحداث .

وقد حملت قصائد درويش بعداً فكرياً معبراً عن تطلّعات جمعية ، بمعنى إنها لاتتكئ على رؤية فردية ذات تطلعات محدودة بنطاق ضيق ، فرؤيته تحقق مفهوم الاستشراف المجتمعي باتجاه المستقبل كل ذلك بلغة تكشف عن الإمكان وعن الاحتمال ، وعن كل مايمكن أن يكون ، أي عن المستقبل ، وتبيّن لنا أنّ هذا المستقبل لاحدّ له ، وبأن اللغة الشعرية ، تبعاً لذلك ، تحويل دائم للعالم ، وتغيير دائم للواقع وللانسان ، فدرويش يرى أنّ العالم معروف لديه ، لامجهول فيه ،

والزمن الذي نعيشه ليس مجالاً لاكتشاف شيء مالم يكتشف وإنما هو فرصة يتاح فيها للانسان أن يتعرف على المعروف ، وماهو المعروف ؟ انه الحاضر الذي نعيشه ، والمفترض بنا معرفته ، وإن تمنينا غيره أحياناً ، حاضر يرسم لنا ملامح الغد :-

لو كان لي حاضرٌ آخرٌ

لامتلكتُ مفايتح أمسي .

ولو كان أمسي معي

لأمتلكت غدي كلَّه

غامض سفري في الزقاق الطويل

المؤدي الى قمرٍ غامضٍ فوق سوق النحاس[20]

هو ذا الحاضر الآخرالذي يتمناه ، والذي يعدّه جزءاً من المستقبل الذي يراه حاضراً يأتي من آفاق سفرطويل لاملامح له ، وليس ذلك بغريب على شعراء الاستشراف ، حيث يقول أحد أهم أقطابه – وهو أدونيس :- ((يجيئ الشعرمن أفق لاينتهي ، ويتجه نحو أفق لاينتهي ، ذلك لانه لايجيئ من معلوم مسبق ، وإنما يجيئ من مجهول لاينكشف بشكل نهائي ، لأنه في حاجة دائمة الى الكشف ، وشرط الشعرإذن ان يكشف لنا مجهولاً ، لأن الشعرالذي يقدّم لنا المنكشف المعروف ... يكون عقلياً ... ولايكون بالتالي شعراً)) [21] ، فالمنكشف المعروف هو أحياناً عند درويش المستقبل الذي يراه مشابهاً للأمس ، وذلك ليس تشاؤماً بقدر ماهو نتيجة استقرائه للماضي ، وخروجه بحقيقة أن ما سيأتي لن يختلف كثيراً عمّا مضى :-

لاغدٌ في هذه الصحراء ، إلاّ ما رأينا أمس

فلأرفع معلقتي لينكسر الزمانُ الدائريُّ

ويولدُ الوقتُ الجميل !

ما أكثر الماضي يجيئ غداً [22].

ولكن هذا التشابه المتوقع بين الأمس والغد لم يمنع نصوصاً أخرى له من أن تفتح لنا آفاقاً من الانتظار والتوقع انتظار الأفضل وتوقعه ، بحيث لايمكننا – أحياناً – تقبل جمالية النص إلّاضمن أفق توقع ما أو افق انتظار لشيئ ما ، ولايخفي – كما يرى حميد سمير – مالأفق الانتظار من دور وظيفي في جمالية التلقي [23] ، ويفضي أفق الانتظار أحياناً الى أسئلة حول نهاية هذا الإنتظار ونتيجته ، هل يستحق الغد الموعود هذا الإنتظار :

يقول الغريب

من أنا بعد منفاك فيّ ، ياسيدي .

هل لدينا من العَدْل ما سوف يكفي ليجعلنا عادلين غداً [24]

هو انتظارالعدل ، إنتظارالغد ، يأتي عن طريق توقّع ما سنسأل غداً ، إنه استشراف مستقبلي من نوع آخر ، إستشراف السؤال :

لاتعبرُ الغجريّةُ في بلدٍ ، مرتين

فمن سيزفُّ ، اذاً ، خيلَ هذا

المكان الى جنسها ؟

من يلمّعُ منْ بعدها فضّةَ الأمكنة ؟ [25]

ومن سيخبرنا أنّ املاً في المستقبل قد يلوح يوماً ! وهل ننتظر قارئاً للطالع أو (غجرية) لتجيبنا عن هذا السؤال ، وهل يستحق ذلك انتظارنا ، وتوقّعنا واستشرافنا لغدنا ومستقبلنا ! ، الحقيقة – كما أشرنا سابقاً – أنّ التميّز في الاستشراف ليس في صدق مايتنبأ به الشاعر أو يتوقعه ، بل بتمتّع النص المستشرف الكافية لإقناع القارئ بأن الحاجز الذي يفصل الممكن واللاممكن ، بين الحاضر والمستقبل - بين الواقع والخيال ، وبين المعلوم وما نعيشه والمجهول الذي نتوقعه حاجز لاوجود له بتاتاً [26] ، وأنّ الشاعر يستطيع : ((أن يرى بحدة بصيرته ما لايرى ببصره برؤيا استشرافية تكشف له العالم بوضوح . وتمكّنه من قراءة الأحداث الجسام وسبر أغوارها)) [27] ، وليس ذلك بجديد ، فالمثقف والمبدع ، غالباً مايكون رؤيوياً يسبق

الحدث ، ويسبق عصره باتجاه الغد ، برؤيا تنفذ الى ماوراء الاشياء ، فنقرأ من وراء ذلك نصوصاً تحمل رؤيا جامحة تكشف الحجب باتجاه المستقبل ، حينها يصبح النص وسيلة نحو الكشف باتجاه عوالم محتجبة ، وسيلة قد يظهرالشاعر فيها مخاطباً المجهول ، حاملاً مسلكية انسانية وحضارية مجهولة الأفق والحدود ، موجهاً اللاوعي بوعي خافت ، وكأنه يراقب متخفياً مسيرة الانسان [28] ، ودرويش يرسم لنا دوماً مسيرة هذا الانسان ، هو شاعرباحث عن الحقيقة راغب في الوصول إليها ، وقد ذهب اليها بمعطيات الواقع الذي يحدّد به المستقبل ، فهو في كثير من نصوص هذا الديوان يستشعر الحدث ، فتتحول رؤياه الى إبداع ، وهو يؤمن هنا يقيناً – لا حلماً –إنّ العالم الذي نأمل ، والمستقبل الذي نطمح ، لابدّ له من طريق ملؤه تضحيات وفداء لنستحقّ أن نأمل في الاتحاد في بلاد لاحرب فيها تحاصرنا ولا هاجس قتل يقمعنا :

لابدّ من جسد للروح تحرقهُ

بنفسها ولها ، ولابدَّ من جسد

لتظهرالروح ما أخفتْ من الأبدِ

فلنحترق ، لا لشيئ ، بل لنتّحد !

.....

ينقصني ليلٌ ، لأركض في نفسي ، وينقصني

حبٌّ لأقفز فوق البرج ،

....

هنا أضاء لك الليمون ُ ملحَ دمي

وههنا ، وقعتْ ريحٌ عنَ الفرس

أمرّ باسمك ، لاجيشٌ يحاصرني

وبلادٌ ، كأني آخرُ الحرس

أو شاعرٌ يتمشى في هواجسه [29]

انـها حقيقة تخفي وراءها سؤالاً ، هل لابدّ لنحيا من أن نحترق أولاً ، ونموت لنبعث من جديد ؟ لابدّ من نعم . هذا مايريد درويش قوله ، إنه في تدمير كيان وإزالته يتحقق إنجاز ، فهو سعي الى ترميم كيان آخر وترميم للذات ، تنبؤ بحياة أفضل ، إنه بعث لكشف جديد ، وحثّ للنظرة الميتافيزيقية بعد زوال الأشياء ، وكما يرى سارتر في نبوءة التدمير إنه يرتجي من ورائـها تطهير الوجود ، التدميرالذي يقلب كل شيئ ، ويغيّرالعالم ، وبفعل التطهير يكون الشاعر قد أظهررفضه العارم ، وحقّق الاتحاد العيني مع الوجود الأعلى [30] ، فيمكننا أن نرى فيه حدثاً رؤيوياً ، وسعياً الى انسانية عليا في حياة آمنة ، فهل يأتي هكذا مستقبل ، حياة بلا حروب ، بلا جيوش ، حياة تتيح للمرء أن يتمشى عبر هواجسه ، إنه نص يحيله درويش الى عالم تقتحمه الرؤى والحقائق ، فشعره قفز خارج المفهومات السائدة ، ولاضير إذا صدر أحياناً عن رؤية ميتافيزيقية تتجاوز هذا العالم المرئي.

إنّ محمود درويش في (لماذا تركت الحصان وحيداً) يعيد لنا ترتيب الماضي ، فيسقط أحداث الحاضر عليه – على الماضي – في ديوان يوهم القارئ فيه بأنه معنى بتجلية صورة الولادة عبر هيمنة عناصر الخصب والحياة المتجدّدة ، عبرالولادة والحياة الجديدة (ولادة طفل وسماع صرخته) ، حياة تبدأ لتوها ، تحلم لتوها ، تأمل وتبدأ أملها بصرخة ، علّها تنتهي بزهرة أقحوان ، وبين البداية والنهاية حكايا تحكمه أطماعنا وتتركنا مع ذنوبنا التي أطلقناها ونحن نسمع صرخات ألم الغدر ممن كانت إساءتهم الوحيدة ، أنهم قالوا الحقيقة يوماً :-

يولدُ الآن طفلٌ ، وصرخته

في شقوق المكانْ

افترقنا على درج البيت ، كانوا يقولون :

في صرختي حذرٌ لايلائم طيش النباتات

في صرختي مطرٌ ، هل أسأت الى إخوتي عندما

قلت إني رأيت ملائكة يلعبون مع الذئب

في باحة الدار ؟ لا أتذكر

أسماءهم ، ولا أتذكر أيضاً طريقتهم في الكلام

وفي خفّة الطيران

أصدقائي يرفون ليلاً ، ولايتركون خلفهم أثراً

هل أقول لأمي الحقيقة . لي إخوة آخرون

إخوةٌ يضعون على شرفتي قمراً

إخوةٌ ينسجون بإبرتهم معطف الأقحوان (31)

هنا تنثال لغة الشاعر بتقريرية صادقة في النص من جهة ، لكنها مثقلة بالرؤيا المستقبلية من جهة أخرى بقوة ، ويجعلنا ذلك نتساءل مرة أخرى ، هل النص تشكل في اللاشعور وفي اللغة المخبوءة دونما وعي ، أكان يستشرف الأحداث أم لا ؟ النص هو الذي يجيبنا أحياناً ، فله أن يطرح أمامنا التساؤلات ولنا أن نمارس القلق فيه أحياناً ،والتعجب حيناً آخر من القدرة على التحول الزمني في الحدث وعنه : ((فالذات الشاعرة ... تلحّ على التحوّل عن العالم ، بما فيه العالم الشعري بهدف الكشف عن حقيقة الوجود ، وبما أنّ الوجود في رؤيا الحداثة بعامة هو لاشيئ خارج الزمن الانساني فانّ تجربة كشف الذات عن حقيقة وجودها في تجربة هذا التيار ليست شيئاً أكثر من كشفها عن تجربتها ، وهي تحاول إيجاد نفسها في ا لزمن ، لتغدو تجربة الكشف – من ثم – تجربة ايجاد)) (32) ، ونقرأ هذا النص :

ههنا حاضرٌ

جالسٌ في خلاء الأواني يحدّق في أثرالعابرين

على مصبّ النـهر

يصقل ناياتهم بالـهواء ، لعلّ الكلام

يشفّ فنبصر فيه النوافذ مفتوحة

ولعلّ الزمان يحثّ الخطى معنا

حاملاً غدنا في حقائبه [33]

فنجد فيه إيجاداً للواقع عن طريق تجاوزه ، تجاوزالماضي الذي تهاون في حثّ خطانا ، والحاضر الذي جلس متفرجاً ، إننا نتجاوزه بتشجيع من الزمان المتخيل ، الزمان الكامن في توقعنا فقط : ((كل واقع نتجاوزه يوصلنا الى واقع آخر أغنى وأسمى ، هذا البحث عن الواقع الآخر ، عن الممكنات ، هو مايعطي للكشوف الشعرية فرادتها ،ففي هذه الكشوف يتعانق المرئي مع اللامرئي ، والمعروف مع المجهول ، والواقع المحسوس مع الحلم)) [34]

من هنا يمكننا إيجاد الواقع مع نفيه وتجاوزه .

وتبقى الرؤيا الاستشرافية إثباتية ، إيجابية ، لاترفض أو تنفي العالم ، بل تكشفه بكشفها عن أزمنة كثيرة بمواقف متعدّدة :

لاتتأخري في العالم السفلي ، عودي من هناكَ

الى الطبيعة والبضائع يأناتُ !

جفّت مياه البئر بعدكِ ، جفت الأغوارُ

والأنهارُ جفّت بعد موتكِ ، والدموع

تبخرت من جرّة الفخار ، وانكسرالهواءُ

من الجفاف كقطعةِ الخشب ، انكسرنا كالسياج

على غيابكِ ، جفّت الرغباتُ فينا ، والصلاةُ

...

لاتمكثي في العالم السفلي أكثرَ ! ربما هبطتْ

الهاتٌ جديداتٌ علينا من غيابك

وامتثلنا للسرابِ . وربما وجدَ الرعاةُ

الماكرون إلهةً . قرب الهباء وصدّقتها الكاهناتُ

فلترجعي ، ولترجعي أرض الحقيقةِ والكنايةِ

أرض كنعان البدايةِ . [35]

هي أزمنة كثيرة إذن نحتاجها لنعبرالطريق ، بدءاً من انتظارنا من رحل الى عالم سفلي موعود بالآمال في إشارة الى أسطورة الآلهة إنانا ـ [36] والى سنوات طوال حلّ بها ما حلّ من الجفاف والحزن والانكسار الى التوسّل بعودة ذلك الغائب الذي تأخر طويلاً ، فليعد لتعود معه الحقيقة ، ((وهكذا يصبح الشعر تحولاً وصعوداً دائمين في أقاليم المجهول من أجل إتحاد بين الانسان والوجود أعمق وأغنى وأشمل ، اتحاد بين الواقع والممكن ، الزمني واللازمني ، الشيئ والخيال)) [37] ، فينسى الانسان من يكون إلا في اتحاده مع عوالم تحتضنه :-

أنسى من أكون لكي أكونَ

جماعةً في واحد ، ومعاصراً

لمدائح التجارة الغرباء ، تحت نوافذي

ورسالة المتحاربين الى ذويهم

لن نعود كما ذهبنا لن نعودَ ، ولو لماما

.....

وفي الصحراء ، قال الغيبُ لي : اكتب !

فقلت : على السراب كتابةٌ أخرى

فقال : اكتب ليخضرّ السرابُ

فقلتُ : ينقصني الغيابُ ، وقلت لم أتعلمّ الكلماتِ بعدُ

فقال لي : اكتب لتعرفها ، وتعرف أين كنتَ ، وأين أنتَ

وكيف جئت ، ومن تكونُ غداً ،

ضع اسمك في يدي واكتب ، لتعرف من أنا ، واذهب غماما

في المدى ، فكتبتُ : من يكتب حكايته يرثْ

أرضَ الكلام ، ويملك المعنى تماماً ! (38)

النص هنا تحققت فيه تطلعات ورؤى وحدس فيما آل اليه الانسان العربي وأدرك بحرفية الرأي أنّ التعامل مع الآخر سيصل الى مرحلة معقدة من خلال قراءته للواقع ، وكيف أنّ الهوية العربية باتت تمثل إشكالية متداخلة مع بعضها ، وتطرح تلك الهوية نفسها من خلال أشكال عدّة ، من الاصرارعلى (الكتابة) بصيغة الأمر (أكتب) ، كتابة التاريخ (لنعرف من أين جئنا والى أين المصير ، كتابة سيرتنا (لنعرف من نحن) ، وينتهي النص بخلاصة أن من يعرف تاريخه ، سيعرف نفسه ، ومن يعرف نفسه سيعي تماماً مستقبله ، لأنه ورث ماضيه وفهمه ، ولن يهمّ بعدها ماسنكون :

فلأكن ماتريد لي الخيلُ في الغزوات :

فامّا اميراً ، وإمّا اسيراً ، وإمّا الردى !

...

يا حمامة طيري ، برروميتي

واحملي لابن عمي ، سلامَ الندى ! (39).

هي رؤيا مركبة من نزوع فيه شيئ من الرومانسية ، ومن تباشير وعي واقعي آخذ بالبزوغ ، واقع يضعنا أمام خيارات واضحة ، فإما الموت ، أو الذل ، ويبدو التوقع في ضوء الحلم بالسلام جامحاً يتقمص الواقع ، ولكنه واقع لايلبث أن يكبح هذا الجموح ، ويشدّ أجنحة الحلم الى أسواره شدّاً وثيقاً .

وبقدر ما ينفذ الشاعر برؤياه الى ماوراء العالم ، بقدر ما يخلق أبعاداً انسانية وفنية جديدة ، فيرسخ في أذهاننا – وفي ذهنه - صورة الواقع كممكن ، كابداع وحركة وتكوين . ولذلك فأن الاستشراف لم يحصل إلاّ عندما كان الشاعر متأثراً ومؤثراً في الواقع ، وله تجربته الذاتية الخاصة ، الى جانب استلهامه تجارب أخرى وسبر أغوارها منطلقاً من أدواته التي تشكّل تجربته الشعرية ، مضيئة لنا بجانبها الفني ورؤاه الاستشرافية بلغة إبداعية معتمدة الحدس والظن لتصل بنا الى تصور لحقيقة الأشياء فيظلّ شعره كشفاً عن عالم يبقى أبداً في حاجة الى ذلك الكشف .

إنّ في الاستشراف إذن محاولة منح اللاذهني واللامعقول المرتجى والمنتظر حقه في الوجود ، هو استهداف ما يكمن فينا من أمل الى فضاء الخيال والحرية ، هو أشبه بنزهة تقوم بها النفس باتجاه أرض يتحرّر فيها الانسان من صرامة المنطق وواقعيته ، هو ببساطة أكثر نزوع الى الخروج من قيد المألوف الى فسحة اللامفهوم ، حيث التهويم والتحليق والأرض البراح التي لاتحدّها حدود ، وحقيقة أن للشعر هذه القدرة فأن ذلك يمنحه حق الوقوف في مقدمة الأجناس الأدبية ، يقول سميح القاسم : ((أعتقد أنّ للشعر رؤيا قادرة على الكشف والاستشراف تجعله في مقدمة الفنون)) [40] .

لقد كانت لغة شعر هذا الديوان لغة خلق وتساؤل كشفت لنا ومثّلت لنا أفقاً شعرياً مستقبلياً ، فكانت نصوصه أرضاً عامرة بالدلالات المخبوءة المليئة بالتأمل ، فكل شيئ في شعره يدعو الى التأمل الاستشرافي ، حتى في شعره الذي يعود الى الماضي في شموليته فانه حقبة زمنية مرهونة بالمستقبل ، فالعقل عنده مطالب في جميع تصوراته بتصيير الأحداث ، بين التجارب الماضية وأفق الترقب ، فالماضي ليس دائماً في حكم (الذي كان) بقدر ماهو امتداد دلالي للذي ينبغي أن يكون .

لقد امتلك شعره قدرة التحوّل والتحويل والإستشراف لأنه يدفع بالجدل بين عالم الظواهر وعالم الأعماق الى أقصاه، فالتقت بذلك (الذات) بالطبيعة في صفائها لتنفذ الى عالم المستقبل ، في لحظة إكتشاف من الخلق المتجدّد ، كل ذلك من خلال لغة الاكتشاف لحضورأسمى يجدّد بها استكشافاته واندهاشاته ، فالاستشراف بذلك هوالمعنى الذي يبدأ حين تنتهي القصيدة ، أو القصيدة التي تتكون في وعي المتلقي بعد قراءة القصيدة ، إنّه اندفاع صوب جوهر القصيدة ، ومحاولة لإضاءة مستقبل معتم ، هو بمثابة البرق الذي يتيح للوعي أن يستشف عالماً لاحدود له .

هوامش البحث

1. عبد الرحمن العكيمي ، الإستشراف في النص ، الانتشارالعربي ، الطبعة الأولى ، بيروت 2010 ، ص 85
2. أدونيس ، مقدمة للشعرالعربي ، دارالساقي ، 2009 ، ص 92 . وينظر للمؤلف نفسه : زمن الشعر ،دارالساقي ، 2005 ، ص 9 .
3. ينظر : المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، تشرين الثاني ، 2010 ، ع 381 ، س 33 ، ص 154 .
4. ينظر : د. طلال المير، النبوءة في الشعرالعربي الحديث ، مجد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ، بيروت2009 ، ص 5 .
5. محمود درويش ، ديوان (لماذا تركت الحصان وحيداً) ، رياض الريس للكتب والنشر ، الطبعة الرابعة ، 2009 ، ص 59 .
6. ينظر : طلال المير ، مصدرسابق ، ص15 .
7. محمود درويش ، ص 11 -13 .
8. المصدرالسابق ، ص 14-15 .
9. المصدرالسابق ، ص 48-49 .

10- المصدرالسابق ، ص 32 -33 .

11- المصدرالسابق ، ص 103 -104 .

12- ينظر : العكيمي ، ص 87 .

13- محمود درويش ، ص 42 .

14- عبد القاهرالجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، ص 37 .

15- محمود درويش ، ص 58 -59 .

16- المصدرالسابق ، ص 55 -57 .

17- المصدرالسابق ، ص 91- 93

18- المصدرالسابق ، ص 108 -109

19- المصدرالسابق ، ص 163

20- المصدرالسابق ، ص 84

21- أدونيس ، الثابت والمتحول ، الجزء الرابع ، دار ساقي ، الطبعة السادسة ، ص246 .

22- محمود درويش ، ص 117 .

23- ينظر : حميد سمير ، النص وتفاعل المتلقي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005 ، ص 25.

24- محمود درويش ، ص 130- 131 .

25- المصدرالسابق ، ص 137 .

26- ينظر : يوسف سامي اليوسف ، الخيال والحرية ، داركنعان ، الطبعة الثانية ، دمشق 2003 ، ص 160 .

27- العكيمي ، ص 11 .

28- ينظر : طلال المير، ص 18 .

29- محمود درويش ، ص 142-148 .

30- ينظر : جان بول سارتر ، معنى الوجودية ، دارالحياة ، بيروت ، ص120 ، 72 .

31- محمود درويش ، ص 20-21.

32- د . عبد الواسع الحميري ، الذات الشاعرة في شعرالحداثة العربية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع ، الطبعة الأولى ، 1999 ، ص 62 وينظر :شكري عياد ، من الأصول الفكرية للحداثة ، الحداثة (2) قضايا وشهادات ، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر ، شتاء 1991 ، ص 186 .

33- محمود درويش ، ص 29 -30 .

34- أدونيس ، مقدمة للشعر العربي ، ص 109 .

35- محمود درويش ، ص 88 – 89 .

36- من الأساطير الشرق الأوسطية العائدة لمنتصف القرن الثالث ق.م وهي إنانا التي تزوجت من دوموزي الراعي ، لكن هذا الزواج كان السبب في هلاكه في الجحيم وذلك عندما نزلت زوجته الى العالم السفلي ، وكان ثمن عودتها من عالم الأموات أن تسلم بديلاً عنها ، البديل الذي اختارته كان زوجها المسكين دوموزي – تموز . ينظر : د . وديع بشور ، الميثولوجيا السورية ، أساطير آرام ، الطبعة الثانية . ص231-234 ، 235- 243 .

37- أدونيس ، مقدمة للشعر ، ص 127 .

38- محمود درويش ، ص 111 -112 .

39- المصدرالسابق ، ص 105 .

40- سميح القاسم ، جريدة تشرين السورية 2007/8/22 .

قائمة المصادر

1. أدونيس ، الثابت والمتحول ، الجزء الرابع ، دارالساقي ، الطبعة السادسة .
2. أدونيس ، زمن الشعر ، دارالساقي ،2005 .
3. أدونيس ، مقدمة للشعرالعربي ، دارالساقي ،2009 .
4. جان بول سارتر ، معنى الوجودية ، دارالحياة ، بيروت
5. حميد سمير ، النص وتفاعل المتلقي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2005 .
6. سميح قاسم ، جريدة تشرين السورية 22 /8/ 2007 .
7. شكري عياد ، من الأصول الفكرية للحداثة ، الحداثة (2) ، قضايا وشهادات ، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر ، شتاء 1991 .
8. طلال المير ، النبوءة في الشعرالعربي الحديث ، مجد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، بيروت2009 .
9. عبد الرحمن العكيمي ، الاستشراف في النص ، الانتشار العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت 2010 .

10- عبد القاهرالجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي، القاهرة .

11- د . عبد الواسع الحميري ، الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع ، الطبعة الأولى1999 .

12- مجلة المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، تشرين الثاني ، 2010 ، ع381 ، س 33 .

13- محمود درويش ، ديوان (لماذا تركت الحصان وحيداً) ، رياض الريس للكتب والنشر ، الطبعة الرابعة ، 2009 .

14- د . وديع بشور ، الميثولوجيا السورية ، أساطير آرام ، الطبعة الثانية .

15- يوسف سامي اليوسف ، الخيال والحرية ، داركنعان ، الطبعة الثانية ، دمشق 2003 .

الإستشراف في ديوان

" لماذا تركت الحصان وحيداً "

لمحمود درويش

د . سهير صالح أبو جلود

خلاصة البحث

الإستشراف في الشعر هو تجاوز الشاعر ذاته الى إنجازات الشعر الكوني ، فهو بمثابة كشف للمتواري واختراق لما يراه الشاعر أمامه . وليس الإستشراف بالمكوّن الجديد في الشعر ، ففي الشعر القديم شعراء كالمتنبي والمعري وغيرهم ، كانت لهم تجارب نافذة باتجاه المستقبل ورؤية خاصة له ، وتأويلات متنوّعة من خلال قراءتهم معطيات الواقع بأدوات ترتكز الى نضج الوعي وحسن الأدراك وسعة في التفكير، إلّا أنها تبقى إجتهادات وافتراضات أكثر من كونها كشفا جديدا أو استشرافا بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة . ثم برز لنا شعراء آخرون من شعرائنا في العصر الحديث ، كأمل دنقل والسياب وأدونيس وغيرهم ، ممّن تحوّلت قصائدهم الى اكتشاف جديد في ثنايا المستقبل ، ومعهم محمود درويش الشاعر الأكثر استشرافا في شعره من غيره ، لا سيما في ديوانه (لماذا تركت الحصان وحيدا) الذي عمل فيه الى إدخال رؤاه الشعرية بطموحها الكوني الى نصوص هذا الديوان ، فكانت لغته بكلّ ما يحمله هذا الشاعر من ثقافة وحدس إنساني كبير ، لغة تستكشف حضورها في تلك الرؤيا الغزيرة في شعره ، لغة اتخذت ببلاغتها وتشبيهاتها ورموزها منهجا استقرائيا يستدلّ من خلال دلالاتها على نتائجها ، لتضع – تلك اللغة – مادتها في خدمة استشراف المستقبل ورؤية الحدث .